الملحق ـ آ[1]
العربي وحصانه

«وخلق الله الإنسان الأول من الطين ولكنه خلق الحصان من الريح ـ مثل عربي».

هذا الملحق عن العربي وحصانه يجب بالضرورة ـ نظراً لتشعب الموضوع وطوله ـ أن يتخذ إلى حد ما ـ شكل الملاحظات المتناثرة. ولكن المؤلف يأمل أن تكون مفيدة لعشاق الخيول.

لم يكن بوسعي أن أكتب عن الحصان العربي دون تذكر ثلاثة أسماء ستبقى مشهورة دائماً لصلتها بحصان الصحراء:

١ ـ السيد دارلي الذي كان في يوم من الأيام القنصل البريطاني في حلب والذي يُعدُّ حصانه العربي الشهير (مناق) أساس حصان السباق الأصيل.

---

(١) يود الناشر أن يعلن أن النظريات التي يقدمها كارل رضوان في هذا الملحق فيما يتعلق بالأنساب المختلفة للحصان العربي هي من عند نفسه ويجب ألا تؤخذ على أنها متطابقة مع نظريات قبائل وسط الجزيرة العربية التي تربي الخيول والتي أخذت عنها الليدي بلنت معلوماتها التي لا تتطابق معها.

٢ ـ الليدي آن بلنت التي حافظت في إنجلترا على دم الحصان العربي الأصيل.

٣ـ السيد و . ك . كيللوغ من كاليفورنيا الذي أنجز في أمريكا ما قامت به الليدي آن بلنت في إنجلترا. وكما حدث مراراً في الماضي في حوالي أواخر القرن السابع عشر اضطر العرب الرحل ـ بدو نجد (في جوار صحراء النفود) ـ إلى ترك ديرتهم في قلب الجزيرة العربية. اضطرت سنوات متعاقبة من الجفاف والجوع عدداً من القبائل أن يرحلوا ـ بحثاً عن مراعي أفضل ـ إلى البرية القصوى في شمال البرّية العربية. إحدى هذه القبائل هي الفدعان ـ وهم جزء من العنزة ـ التي عبرت بقطعان جمالها وخيولها الهضاب التي تمتد من دمشق إلى ضفاف الفرات قرب دير الزور.

كان هذا تطوراً ثورياً في الحياة القبلية في أواسط الجزيرة العربية. ولكن الرحيل الكبير لبدو العنزة وشمر إلى المراعي الشمالية في سورية والعراق حدث فجأة، وامتد حتى الفرات الأوسط وبوابات دمشق، وفي حالة الفدعان حتى ضواحي حلب.

السيد دارلي الذي كان في ذلك الوقت القنصل البريطاني في حلب رجل رياضي ذو مزايا استثنائية وبصيرة وحدس، مغرم بحب الخيول ومهتم بحياة هؤلاء البدو الغريبة، الذين ظهروا في البرية لقضاء أشهر الصيف في هذه المناطق الشمالية، بعيدين أكثر من ألف ميل عن مراعيهم القديمة في جوار المدينتين المقدستين مكة والمدينة.

أصبح السيد دارلي صديقاً لشيخهم، وذهب للقنص مع زعيمهم العجوز، والصقر على معصمه والكلاب السلوقية حول أفراسهم. واكتسب معرفة دقيقة بالحصان العربي النادر وأكثر من ذلك تعلّم مزاياه. تجاهل عن عمد الأنواع الممتلئة والطويلة القوائم وسجل خصائص سلالة المعنقي الشبيهة بكلاب الصيد أي نوع حصان السباق. وجد حصاناً أصيلاً فحلاً يميل إلى الصغر، ولكنه كان يعرف أن بالإمكان مزاوجته بنجاح مع فرس كبير لإنجاب ذرية بحجم الأم

لابحجم الأب. ولذلك لم يبحث عن فرس وإنما اختار الحصان مناق (وهو بالتأكيد معنقي ـ طويل الرقبة) وشحنه إلى إنجلترا في عام ١٧٠٥. استلم أخوه أثمن الخيول الشرقية التي أتت إلى أوربة ضمن العصور التاريخية. ولكن حصان دارلي العربي (هذا الفحل مناق) لم ينجب تشيلدرز الطائر إلاّ بعد مضي عشر سنوات، ولم ينشر المجلد الأول من كتاب الخيول الإنكليزية إلا في عام ١٨٠٨، ولكن الجهود المنظمة بذلت منذ حصان دارلي العربي لجمع شجرات الأنساب والسجلات والمحافظة عليها.

إن نشوء حصان السباق الإنجليزي الأصيل يقوم تاريخياً وبالأساس على ثلاثة أحصنة شرقية: الحصان التركي بيرلي (الذي ينتسب إليه هيرود)، وحصان دارلي العربي (جدّ الكليبس)، وغودو لفن بارب (جد ماتشرين) كما أن شجرات أنساب الخيول العادية أيضاً ترجع إلى تشيلدرز الطائر، وهو أسرع حصان سباق في زمانه؛ لأن بليز ابن تشليدرز الطائر هو الذي تزاوج مع فرس من نور فلك في عام ١٧٥٥ وأنجب شاليز، وهو أول حصان عادي نموذجي.

وبعد مرور حوالي مئتي سنة تقريباً على استيراد الفحل الشهير بوساطة هذا النبيل الإنكليزي نجد سيدة إنكليزية وزوجها السيد ولفرد سكادن بلنت يقومان في عام ١٨٧٩ بأغرب رحلة شهر عسل يمكن تصورها، قال عنها المقيمون «يا لها من رحلة غريبة» وقد هزتهم من الأعماق.

لكن الليدي آن بلنت أَكَنَّت للحصان العربي حباً خالصاً، فقامت بهذه الرحلة إلى نجد، إلىقلب الجزيرة العربية المجهولة كرحلة حج مقدسة . عبرت صحراء النفود ذات الرمال الحمراء ـ ومهد الجنس العربي ـ ووصلت إلى جبال شمّر وحايل عاصمة ابن الرشيد.

لم تبدأ الليدي آن بلنت هذه الرحلة لتكرر عمل السيد دارلي. لم ترغب في أن يحلّ الحصان العربي محل هذا النوع أو ذاك الذي أوجد لأغراض خاصة. لم يكن الحصان العربي ليصبح منافساً للحصان الإنكليزي الأصيل، الذي يعدّ أعظم حصان سباق في العالم. كانت تريد إنقاذ سلالة الحصان العربي النادر حتى

ينجب خارج جزيرة العرب نوعه الخاص وميزاته الخاصة؛ من صحة وقوة واحتمال وجمال.

كان الحصان العربي الأصيل في طريق الانقراض، ليس لأنه لم ينجب أو بسبب القتل، بل لأن سلالته اختلطت باستمرار وتزايد بالتزاوج العفوي حتى بين البدو الرحل في الصحارى الداخلية.

الحصان العربي دائماً مصدر اهتمام جمالي ـ عمل فني لا تقل قيمته عن روائع الرسم والنحت والشعر التي لن يسمح لها العالم بالانقراض عن رغبة. وليس من قبيل الجسارة أو التحدي إسباغ الكمال على الحصان العربي. هذا المخلوق أكثر من المخلوقات الأخرى التي طوّعها الإنسان، يتمتع بجمال روحي وجسماني يأسر روح الإنسان. ولكن فوق هذه القيمة العاطفية استقر في ذهن الليدي آن بلنت مشروع يجعل هذه السلالة النقية ذات أغراض مفيدة. قررت إيجاد مزرعة خيول عربية في إنكلترا وأخرى في مصر، وجعل المزرعة المصرية «صلة وصل» بين الصحراء وأوربا.

أرادت الليدي آن بلنت إنقاذ السلالات الأصيلة آخذة بعين الاعتبار بنية الحصان العربي، ومظهره الخارجي، وسلامته. ولم تكتف بالنسب وشجرة العائلة لصعوبة الحصول عليها، ولأن الوثائق المكتوبة بشأن نسب الخيول العربية لا تعطى إلا عند الطلب، والسجلات لا توجد إلا في ذاكرة مربّي الخيول وعائلاتهم. وبدلاً من ذلك حاولت الحصول على أجمل النماذج وأندرها، ذات النسب النقي كالنمر أو الوعل. ورأت (كما يفعل البدو) أن التزاوج ضمن السلالة ـ عند الضرورة ـ وحتى تسامخ القربى سيكون أفضل اختبار لنقاء سلالة الخيول العربية.

بعد عودتها من نجد أوجدت أشهر مزارع تربية الخيول في العالم: واحدة في كرابت بارك قرب ثري بريجز في مقاطعة سيكس، والأخرى في الشيخ عبيد قرب القاهرة في مصر. ولم تكن رحلتها إلى قلب الجزيرة العربية الرحلة الوحيدة التي قامت بها في بلاد البدو إذ إنها ارتحلت لمسافات كبيرة طيلة حياتها في

صحاري شمال الجزيرة العربية وسورية والعراق على الرغم من أنها قضت معظم أوقاتها في مصر، وأرسلت مبعوثيها إلى الجزيرة العربية، وبقيت على اتصال وثيق مع كل مربّي الخيول العربية المشهورين في روسيا وألمانيا وهنغاريا وفرنسا وأمريكا والهند وأستراليا. اشترت الخيول العربية من كل قبيلة بدوية أصيلة تقريباً ـ الرولة، السبع، الفدعان، العمارات، ولد علي، شمّر، مطير، وعتيبان، وعجمان، ومن أمراء الجزيرة العربية، ومن علي باشا الشريف في مصر وهو مربي الخيول «المتعصب المجيد» (كما يسمونه).

وماتت «سيدة الخيول المحبوبة» (كما سماها بدو نجد) التي ترددت على بيتها ومزرعة خيولها في مصر في عام ١٩١٧ خلال الحرب العالمية الأولى في مزرعتها في مصر. كان موتها ضربة عنيفة لمستقبل الخيول العربية. ولما كانت ابنتها الليدي ونتورث تعيش في إنكلترا وعاجزة عن القدوم لاتخاذ الإجراءات الخاصة بتصفية هذه المزرعة شخصياً، فإن هذه المزرعة الشهيرة في الشيخ عبيد بيعت بالمزاد العلني بقرار حكومي، وتبعثرت مجموعة الخيول التي لا تقدر بثمن في أقطار الشرق الأوسط عند مالكين متعددين. وتهدم تقريباً عمل الليدي آن بلنت الذي قضت فيه حياتها وكان بالإمكان أن يكون الانهيار كاملاً لولا مزرعتها في إنكلترا. وعلى الرغم من أنني ارتحلت كثيراً بين قبائل بدوية كثيرة، ورافقتها في رحلاتها بحثاً عن الخيول السامية، وحصلت على مخلوقات ثمينة، وصدّرتها إلى كلّ مزرعة تربية خيول عربية تقريباً خارج الجزيرة العربية، وعملت بتربية الخيول العربية شخصياً ـ على الرغم من هذا كله عليّ أن أعترف أن بعض أجمل الخيول التي حصلت عليها هي الخيول الأربعة عشر (من فحول وأفراس ومهار) التي حصلت عليها من مزرعة الليدي ونتورث في إنكلترا. شحنت هذه المجموعة الرائعة إلى الولايات المتحدة لحساب السيد ر. ك. كيللوغ من باتل كريك في ميتشيغان. وفي النهاية أهديت إلى ولاية كاليفورنيا مع مزرعة السيد كيللوغ، و٧٩ حصاناً عربياً آخر وهبة سخية قدرها مئة وخمسون ألف جنيه استرليني، لتحويل المزرعة إلى محطة تعليمية لتربية الخيول، تحت رعاية جامعة

كاليفورنيا. وبطل الخيول العربية في العالم هو «شرير» الذي تملكه البارونة ونتورث[1].

إن حلم وأعمال الليدي آن بلنت في رسالتها لإنقاذ وتكريس سلالة الخيول العربية النقية خارج الجزيرة العربية قد تحققت. كما أن كرم السيد ر.ك. كيللوغ وتضحيته الليدي ونتورث في السماح لمثل هذا العدد من أفضل خيولها بالذهاب إلى أمريكا حققت شيئاً لا يمكن تقييمه تقييماً كاملاً بعد، ولكن الأجيال اللاحقة ستقدر ذلك بالتأكيد.

والعالم كله يثني على هاتين المزرعتين في أمريكا وإنكلترا؛ لأن الفحول والأفراس تشتري من هناك لتذهب حتى لبلاد المنشأ في الأردن وفلسطين ومصر. كما تذهب الخيول الأخرى إلى الهند وأستراليا وجنوب إفريقية وأمريكا الجنوبية، وإلى كل مزرعة حكومية لتربية الخيول في أوربا. وأعرف الكثيرين من الفرنسيين والبولنديين والهنغاريين والإسبان والأمريكيين والاستراليين الذين زاروا بلاد الشرق الأدنى، وشمال الجزيرة العربية، والخليج العربي، والأقطار العربية الأخرى، بحثاً عن الخيول البدوية الأصيلة، ولكنهم عادوا وقد خاب أملهم. وبعد زيارة المزرعتين في كاليفورنيا وإنكلترا فرحوا كثيراً لتمكنهم من شراء الخيول العربية الأصيلة فوق الأرض الأمريكية والبريطانية.

أصبحت بريطانيا وأمريكا تعرفان بجنة مربي الخيول العربية، لأن تربية الخيول هناك تتم بذلك الإخلاص والتفهم الكامل النابعين من الخبرة العملية لعدة أجيال. تتوجب المحافظة على مستويات الكمال بعد الوصول إليها. هذا هو سر

---

(١) بطل الخيول العربية في العالم هو (شرير) الذي تملكه الليدي ونتورث في مزرعة كرابت في إنكلترا. ويود الناشرون أن يعلنوا أن النظريات التي يقدمها كارل رضوان في هذا الملحق، المتعلقة بسلالات الخيول العربية المختلفة من اعتقاده. يجب ألا يُظن أنها متطابقة مع نظريات قبائل وسط الجزيرة العربية التي تربي الخيول، والتي حصلت منها الليدي آن بلنت على معلوماتها والتي تختلف عن نظريات المؤلف.

النجاح في تربيـة الخيـول فـي أي مكـان. وقـد اعـترف بـه مربـو الخيـول العربيـة والخيول الإنكليزية ـ العربية، والتهجينات الأخرى من السلالة «الصحراوية».

والحقيقة المدهشة حول الفحول العربية ذات الحجم الواحد هي استعمالها عبر القرون الستة الأخيرة لإنجاب أنواع مختلفة؛ كالفرس القزم في جبال ويلز وخيول البيرشرون الفرنسية. تم العثور على فحل «مراكشي» في سفينة قرصنة جنحت على صخور شواطئ ويلز، كما تم جلب الحصان بأمان إلى الساحل واستعمل في مزاوجة الأفراس المحلية في الجبال. وحصان البيرشرون ــ وهو منافس لحصان شاير الضخم هو أيضاً وليد الحكمة البعيدة النظر. عقب معركة بواتيه الظافرة ـ عندما هزم رجال شارل مارتل العرب الغزاة ــ أسر فلاحو هذه المنطقة عدة فحول عربية وزاوجوا أفراسهم الثقيلة مع هذه الخيول الرشيقة. ولم تفقد الذرية شيئاً من الوزن أو البنية أو الحجم. ولكن لو كانت خيول الغزاة إناثاً وزاوجها الفلاحون إلى فحولهم الضخمة لفقدت هذه الخصائص.

ذكرت سابقاً حصان السباق الأصيل في إنكلترا، كما ذكرت الحصان العادي (للجر والأحمال). وسلالات الخيول الأخرى الشهيرة التي تنتسب إلى الأصل العربي «المحلي»؛ هي الأورلوف في روسيا، والمورجان للهرولة في أمريكا، وحصان الكنتاكي للركوب، والبنتو والمستانغ والخيول الأخرى شبه البرية في شمال وجنوب أمريكا، والحصان الأندلسي في إسبانيا، والليبيزانر في النمسا، وحصان الوارمبلوت الألماني في شرق بروسيا، وهانوفر والحصان الهنغاري وغيره من الخيول. وأما الخيول التركية والفارسية والبربرية والسورية والمصرية وخيول بلاد الشرق الأدنى الأخرى (الشرقية) فهي ذات أصل عربي، ولكن يجب ألا نخلط بينها وبين خيول صحراء الجزيرة العربية الأصيلة، التي كانت وحدها العنصر الحاسم في إيجاد الأنواع الجديدة للأغراض الخاصة.

في الحقيقة وجدت هذا العامل مربكاً عندما زرت البلاد العربية للمرة الأولى، وتعرفت الخيول في مراكش والجزائر وتونس وطرابلس الغرب ومصر

وسوريا والعراق وإيران وآسيا الصغرى. كنت أفتش عن الحصان العربي الأصيل خارج الجزيرة العربية.

في طريقي من شمال إفريقية إلى الجزيرة العربية قبل أكثر من عشرين سنة، وبينما كنت أقيم في الإسكندرية لبضعة أيام، دعيت لزيارة (المنتزه). وهي اصطبلات خديوي مصر. سرّني جداً العدد الكبير لخيول الركوب وجرّ العربات، ومعظمها من السلالات العربية. ولكنني لم أجد أياً من الخيول العربية المثالية التي أعجبت بها في كتب الليدي آن بلنت، أو في لوحات صالات العرض الأوربية، والنحت القديم الذي يجسّد جمالاً نادراً في إفريز البارثنون. أخبرني الضابط المصري الذي كان دليلي في هذه الجولة أن معظم الخيول في اصطبلات الخديوي سورية تربّت في الريف.

وأضاف الضابط قائلاً: «ولكني أخفيت عنك الخيول العربية الحقيقية لتستطيع المقارنة بينها وبين الخيول الأخرى. لدينا فقط من الصنف الأصيل هنا لأن الوقت متأخر، بينما البقية نقلت بناء على أوامر صاحب الجلالة إلى قصر القبة في القاهرة». ومشينا على بناء من طراز الكشك المركشي، ولدى وصولنا قاد أحد السائسين نحونا فحلاً كستناوياً رائعاً له بريق متقزح فوق جلده الصقيل. يا للفتنة والرشاقة في كل حركاته على الرغم من أنه يمشي فقط! إنه يتخايل كالملوك! وامتلأ قلبي بالدهشة والسرور. وكررت في نفسي: «ها هو الحصان العربي الأصيل!» وانجذبت إلى هذا التجسيد لأحلامي بقوة مغناطيسية. ولكن عندما حاولت لمسه انتصب أمامي بدوي نحيل ذو لحية ومرّ بجانبي بهدوء بصورة طبيعية مما جعلني أتوقف غير واثق. ويبدو أن البدو متلازمون مع الحصان العربي كما يتلازم النخل مع الكثبان الرملية. ابتعد البدوي بالحصان ليس باستخدام الرسن (لأن السايس قد فكّ حبل القيادة من الرسن) بل بالكلمات الناعمة.

وبدا لي للحظة أن الحصان يحرس بغيرة، ولكنني كنت مخطئاً. عند مدخل الاصطبل استدار الحصان وعاد جرياً ـ دون موانع ـ إلى حيث وقفت مع الضابط.

وقف أمامي يصهل بسرور فلمست خطمه وجبهته وعرفه ورقبته القوية، وظهره الذهبي العريض، ورفعت قدمه وتحسست عضلاته، ، حاولت غرس يدي في لحم ردفه القوي المستدير، كما رفعت قبضة من شعر ذيله . ـي النامي ووضعتها على خدّي. إن جماله أثار في داخلي مشاعر عميقة ولا أخجل من الاعتراف بذلك. إنها بداية «جنون الحب» الذي حملني على المغامرات الرائعة والأيام الحلوة في صحبة هذه الحيوانات النبيلة، كما أنه جلب لي الساعات الطويلة من المآسي، ولكنه لم يُخفِق أبداً خلال سنوات خبرتي الثلاث والعشرين الماضية في أن يجعلني أحياناً آمل أثناء فترات كآبتي أن تكون هناك خيول عربية في الحياة بعد الموت.

وتحدثت مع ذلك البدوي ـ راعي الحصان الغامض ورجل البرية ـ الذي عرّفني بحرية على أسرار تربية الخيول وسلالاتها وموطن الخيول العربية الأصلي. إنه أحضر هذا الفحل إلى خديوي مصر هدية من زعيمه.

ليس هناك شك في أن الحصان أصيل من سلالة نقية. فرأسه قصير نوعاً ما، ويشبه بروفيل رأس الغزل الهرمي. كان الحصان يحركه إلى الأعلى ويصهل صهيلاً عدة مرات بروح عالية. أما فمه ذو الشفة السفلى الصغيرة القوية فقد تلاعب بشرابات رسنه الزاهية وانفرج عن أسنان عاجية براقة. أما فتحتا الأنف الكبيرتان الرقيقتان العريضتان فتشبهان رؤوس تويجات الزهرة أو صدفات وردية رقيقة. وفوق العينين السوداوين بأهدابها السوداء اللامعة الطويلة جبهة بارزة وعالية كالترس. ورأسه عريض بين الفكين وله فجوة مقعرة لعظمة الأنف بكاملها، وبذلك يتم معرفة نسبه العريق. وانحناء القصبة الهوائية يبلغ أوجه في الحنجرة المقوسة الرائعة. وكفاف الرقبة يشبه موجة متطاولة ينساب منه العرف الحريري بمويجات براقة. أما أذناه الصغيرتان المستقيمتان المتجهتان نحو الداخل فقد تراقصت مثل «الزنبقات المهتزة في الماء الجاري». وتراقص جسمه النحيل الرشيق كله بقوة مطواعة. وصدره عميق مهيب وكتفاه المائلان يمتازان «بحركة السباحة». وظهره قصير وعريض، وواضح الاتصال ومثالي للسرج. وعضلات

العجز قوية وهي ـ كما يقول البدوي ـ سرٌّ قدرته على «التحليق» و«التوازن». والذيل الطويل من الشعر الناعم الذي يرتفع بقوس كامل، ثم يسقط نحو الأرض كبرقع ثقيل يستدق حتى نهايته. والفخذان ـ كفخذي النعامة ـ ناميا العضلات، وقوائمه خفيفة ولكنها قوية ورشيقة ذات أرساغ مرنة طويلة قوية وحوافر سوداء صلبة كالصخر. إنه متناسب ومتوازن حتى الكمال، يبلغ ارتفاعه نحو خمس عشرة قبضة (١٥٠ سم) ليس بالكبير ولا بالصغير، وفوق متوسط الحصان العربي الذي يبلغ عادة / ١٤,٧٥ / قبضة (= ١٤٧,٥سم). وشعره الحريري الناعم لامع كالمرآة. وأثناء النظر إليه لم أعد استغرب لماذا سمي البراق الذي حمل الرسول إلى الجنة، **ورخش** حصان رستم الشهير «بالخيول البرّاقة».

هذا «الحصان العربي الصحراوي» يشكل فصيلة متميزة. إن له خمس فقرات قطنية بدلاً من ست، وعدد أقل من المعتاد من فقرات الذيل / ١٦ / بدلاً من / ١٨ / فقرة. إنه يختلف عن الخيول الأخرى في أن له حوضاً متطاولاً وقحف دماغ بارزاً «وبروفيلاً» منخفضاً وفكاً سفلياً مستدقاً.

ولكن المعلومات الهامة التي يتوجب على مربّي الخيول العربية جمعها هي «سر» السلالات والأنواع بين حيوانات الصحراء الصافية.

السلالات:

السلالات المتعددة للخيول العربية تختلف كثيراً بعضها عن بعض، وتصبح أنواعاً متميزة. ودراسة هذه السلالات وعائلاتها كانت عملي الخاص. لمدة سبعة عشر عاماً توجب عليّ خلالها أن أتعلم قراءة وكتابة اللغة العربية لئلا أعتمد فقط على التقارير «الشفهية» للبدو الرحل، ولأتمكن من البحث بنفسي في المخطوطات القديمة وأقارن تقارير القدماء مع تقارير عصرنا.

ودهشت حين وجدت بعد سنوات كثيرة من البحث والدراسة أنه يمكن تمييز ثلاثة أنواع من الحصان العربي من بين عشرين سلالة، وأكثر من مئتين

وثلاثين فرعاً وعائلة. وكل هذه الأنواع والعائلات تصبح فروعاً من ثلاثة الأنواع المتميزة. والأنواع الثلاثة الرئيسية هي:

١ ـ الكحيلان الذي يمثل القوة. وهو النوع الأول أو الأصيل في الجزيرة العربية. إنه حصان مثالي للركوب والفروسية، قوي، ممتلئ وذو قوة احتمال كبيرة. وحتى أفراس سلالة الكحيلان ذات مظهر ذكوري.

٢ ـ الصقلاوي الذي يمثل الجمال. وهو النوع الرشيق المصقول «نخبة» الجزيرة العربية وهو أروع وأجمل الخيول جميعاً. وحتى فحول سلالة الصقلاوي ذات مظهر أنثوي.

٣ ـ المعنقي الذي يمثل السرعة. إنه «صنو» الحصان الإنكليزي وأهم أجداده (حصان دارلي العربي لعام ١٧٠٥). والمعنقي ذو خطوط طويلة. إنه نحيل وأطول من الخيول الأخرى وقلما يمتاز ببعض خصائص الخيول العربية التي نجدها في سلالة الكحيلان والصقلاوي. والمعنقي هو حصان «السباق أو الجري». ولا يزال هناك سبع عشرة سلالة أخرى ولكنها تعود بسهولة إلى السلالات الثلاث المذكورة أعلاه: فالهدبان والحمدان يقعان ضمن مجموعة الكحيلان. والهدبان ذو شعر طويل خشن في الشتاء وهو إما بني كعجل البحر أو كستناوي غامق. والحمداني أثقل نسبياً وهو غالباً رمادي حديدي. أما الجلفان والربدان وأبو عرقوب فإنها من حيث النوع وصلة الدم جزء من سلالة المعنقي السريع الممتلئ ولكن رؤوسها أطول. وحصان غودولفين العربي ينتمي إلى الجلفان. إنها ذات قوائم أعلى وأجسام أطول حتى من المعنقي (دارلي). والدحمان ينتمي إلى الصقلاوي وهكذا...

واسم السلالة موروث من الأم لا الأب. فالبنية والحجم (وبالتالي النوع أيضاً) هي من خصائص الأنثى. ولذلك فإن من المهم جداً أن التزاوج النقي يجب أن يجري ضمن نفس السلالة أولاً. وإذا تعذر ذلك فبالإمكان مزاوجة الفحل والفرس من السلالتين الأوليين ولكن لا تسمح بتزاوج المعنقي (النوع الثالث) إلى أية سلالة متصلة بالكحيلان أو الصقلاوي (النوع الأول والنوع الثاني) إذا كان

المطلوب هو الميزات العربية الخاصة من حيث القوة الخارقة والاحتمال والجمال والانسجام والرقة. والمعنقي أيضاً فيه هذه الميزات أيضاً ولكنها ليست بارزة لأن المعنقي حصان سباق أولاً وأخيراً.

هذا هو باختصار «سر» تربية الخيول العربية. حقاً إنه بسيط جداً ولكنني اضطررت لقضاء ١٧ عاماً في الارتحال ودراسة تربية الخيول حتى وجدته.

والصور المرافقة تشرح أفضل من الكلمات الأسباب المختلفة التي تجعل ـ مثلاً ـ الفحل الكحيلان والفرس المعنقي ينجبان وليداً بشعاً. الرقبة «ضخمة» والعجز ثقيل ذكوري. ولا يصلح للسباق. وبوصفه حصاناً عربياً فسيكون غليظ الرأس والمظهر العام. وإذا كان الأب صقلاوياً والأم معنقةً فستكون النتيجة أسوأ. حصان سباق رشيق نحيل مصقول جداً ولكنه ذو رأس غليظ فوق جسم جميل. ولكن الوضع سيكون مختلفاً عندما يكون الولدان من سلالات تزاوجت بحرية مع أنواع متعددة (وإذا كان ممكناً الأنواع الثلاثة). في تلك الحالة وبعد عدة أجيال «ستصحح» الأخطاء ونحصل على حصان جميل ومتوازن على الرغم من أنه ليس حصاناً نموذجياً.

من المبالغة أن نقارن هذا التزاوج بتزاوج الكلاب السلوقية (معنقي) وكلاب البلدغ الضخمة (الكحيلان) أو كلاب الكولي (الصقلاوي) لاستحالة هذه المقارنة. ولكن «الصورة» يمكن أن تعطينا فكرة عما حدث لتشويه وتبديد الدم الثمين لسلالات الخيول العربية النقية والمترابطة.

وبما أن معظم مربي الخيول في أوربا وأمريكا يتحدثون عن «العظام والحجم» أكثر مما يتحدثون عن أي شيء آخر ـ وهما الميزتان الموجودتان في المعنقي ـ فمن الطبيعي أن يتم اختيار المعنقي في الماضي «لتحسين» عظام وبنية الخيول العربية.

ولم تعد أسماء السلالات العربية بالنسبة لمربي الخيول في أوربا وأمريكا أكثر من أنها أسماء تطلق على السلالات. ولكننا نعرف اليوم أنها كانت وستبقى

الوسيلة لتفهم «خطوط النسب» (السلالات وفروعها) التي يتألف منها الحيوان الفردي عبر أسلافه.

حاولت اكتشاف «نوع» رابع إضافة إلى الأنواع الثلاثة المذكورة، ولكن بلا طائل حتى الآن. ومن المرجح أنه لن يكون بالإمكان إضافة نوع آخر. لقد تفحصت بعناية أكثر من مئتين وثلاثين سلالة وعائلة من الخيول العربية، ووجدت من السهولة تسجيل كل منها في أحد الأنواع الثلاثة. إن اختلاط السلالات والأنواع بين الخيول «الشرقية» العادية (أو لنقل «المهجنة») مربك حقاً. إنها عادة حيوانات عالية القوائم على الرغم من أنها في الغالب خيول عربية «نموذجية»، ولكنها خادعة إذ لا تظهر أصالتها إلا بالأفعال. وإلا فإننا ندرك على الفور تناسبها الخاطئ وعدم انسجامها؛ أي إنها نتيجة تزاوج نوعين متعاكسين.

الرأس: يحمل رأس الحصان العربي أهم ميزات السلالة كنوع فردي خاص في الخيول. العينان الصغيرتان أو البروفيل الطويل المستقيم أو حتى ذي الأنف الرُّمَّاني، أوالعجز المائل، أو الذنب الذي يتدلى مستقيماً بين العرقوبين، أو القصبة الهوائية الضيقة (الفجوة الضيقة بين عظمتي الفك) هذه الخصائص مؤشرات مبدئية ومؤكدة بأن الحصان «العربي» الذي تتجلى فيه هذه العيوب لا يمكن أن يكون من السلالات البدوية النقية.

والجبهة العريضة والبارزة دليل على نقاء السلالة، كما أن البروفيل المقعّر دليل آخر، وفتحتا الأنف يجب أن تكونا دائماً مفتوحتين نوعاً ما على ألا تكونا مسطحتين و«الجعدة» تبدأ فوق خط البروفيل وتمتد قطرياً لخط بروفيل الخطم و«الوجه» السفلي لا موازية له. والشفة السفلى يجب أن تكون صلبة جداً وصغيرة ومتراجعة نحو الخلف. وعظمة الربط المتميزة تحت العينين سمة مرغوبة. ويجب أن تكون العينان كبيرتين جداً، والبشرة العارية حول العينين سوداء مبللة كالكحل (الذي يشتق منه اسم السلالة القديمة «كحيلان»). وبشرة الحصان العربي الأصيل سوداء ولكن الشعر ليس كذلك، بل ربما كان بنيّاً كستناوياً أو غامقاً على الرغم من منظرها المائل للسواد. والخيول العربية غالباً

رمادية (تنقلب إلى بيضاء في سن الثامنة أو التاسعة) أو كستناوية أو بنيّة، والأذنان صغيرتان وقصيرتان نوعاً ما، والعرض بين عظمتي الخدين كافٍ ليسمح بإدخال قبضة اليد بسهولة. و«عظم» الحصان العربي ربما لا يبلغ المحيط القياسي، ولكن الحقيقة المؤكدة هي أن كثافة الخلايا هي الأكثر أهمية من الحجم، كما في حالة العوارض الفولاذية. فالحصان العربي يتمتع بعدة مزايا «مركزة». إنه حيوان صحراوي ينقصه عادة الطعام والماء الكافيان، ولكن ليس له مثيل في تحمل الحر والبرد والجوع والعطش والحرمان والمصاعب الأخرى. صحيح أن الحصان الصحراوي يبدو هزيلاً بائساً في موطنه الأصلي، ونحتاج للخبير لينفذ بصره عبر هذا المخلوق التعيس، ويتعرف مزايا السلالة والخصائص الممتازة. لكم يختلف عن الأحصنة الممتلئة الطافرة في سورية ومصر، المملوءة حيوية تسر الناظرين. ولكن المظاهر خداعة غالباً، فالخيول الصحراوية ـ على الرغم من أنها هزيلة جداً على وجه العموم ـ تسترد عافيتها بسرعة عجيبة وتصبح ـ بالعناية الملائمة والطعام ـ تحفاً في الجمال والكمال أستطيع عرضها بالصور الفوتوغرافية.

«الخمسة». هذه الكلمة يمكن قراءتها في كل كتابة ومقالة حول الخيول العربية. من المفترض أن النبي صلى الله عليه وسلم[1] اختار الأفراس الخمسة الأولى وسمّاها بأسمائها التاريخية: الكحيلة، والعبية، والصقلاوية، والحمدانية، والحدبان. هذه خمسة أسماء فقط من أسماء السلالات العشرين المختلفة. لقد أوضحت سابقاً أن ثلاثة أسماء فقط ذات أهمية خاصة لدى مربي الخيول الجدد. فالسلالة التي تحمل اسماً ولا تمثل نوعاً متميزاً لا تهمنا على الإطلاق. والأسماء تسبب الارتباك عندما لا تعني شيئاً. في رأيي أن كلمة «الخمسة» لا تعني سوى طريقة قديمة للعدّ على الأصابع الخمسة أشهر سلالات الخيول العربية التي يمكن «تزاوجها» دون أية موانع. أما المربّون الإفراديون فقد حصروا المفضّل لديهم، ومع مضي الوقت والاختلافات الجغرافية تغيّرت «الخمسة» بطرق مختلفة.

---

(١) لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل هذه التسميات إلا أنه أورد حديثاً يصف خمسة أنواع من الخيول استناداً للونها لا لسلالتها.

«الفرس» هو الاسم النوعي للخيول، عندما يتحدث البدوي عن فوائدها في الحرب والقنص والغزو. و«الفارس» هو الرجل أو الشاب الذي يخاطر وحيداً إلى معسكر العدو، ويجلب معه فرساً أسيرة، وبعد ذلك يسمح له بحضور «المجلس» حول موقد الزعيم. ولورانس الذي سماه والده طراد بن صطام الشعلان الرولي باسم الكولونيل لورنس هو أصغر فارس عرفته بين البدو. فلم يكن يتجاوز التاسعة من عمره عندما «أخذ» فرسه الأولى من بين أعدائه.

يتحدث البدو بلغة الشعر عن «شارب الريح» و«الخيول البراقة» و«المغنية» و«الخيول اللامعة» و«الخيل المتلوث» و«محسود الجميع» و«النظر إلى الكميت يمشي تحتي كغصن مرن».

تكثر الأساطير الشعرية والقصص الخرافية في الأدب العربي والتقاليد العربية حول جواد الصحراء المجيد، وخصوصاً منذ بداية التاريخ الإسلامي. وعلى الرغم من هذه الثروة من المعلومات فلا يبقى بعد غربلتها سوى القليل من الذهب، ومع ذلك فإنني أعترف بأنني غالباً ما سررت كثيراً لدى قراءة ودراسة هذه القصص الخرافية المزورة عند هؤلاء الكتاب القدماء. والكلمة المكتوبة أقل ثقة من الطريقة البدوية القديمة في الانتقال الشفوي من الذاكرة. فالتراث ينتقل من الأب إلى الابن شفهياً. ولكن هناك الكثير من المصادر الأدبية الموثوقة حول الحصان العربي، وهي ذات أهمية خاصة لأنها لا يمكن أن تنشأ بين بدو الصحراء البسطاء. وقد أسهم الزعماء الدينيون وأعمال الفاتحين المسلمين وغنى وعظمة الرسول وخلفائه والسلاطين والملوك والشاهات ومهراجات الهند في وضع بساط سحري تحت حوافر الحصان العربي الأصيل ـ هذا البساط الذي لن يزول أبداً ما بقي حب الحصان العربي يجد له مكاناً في قلوب البشر.

هناك قصة حول المهر الذي ولدته الفرس العربية البرية التي وجدها إسماعيل عند كثبان الرمل الحمراء في صحراء النفود. ويدّعي البدو أنه من خلال هذين الحيوانين ـ الأم والولد ـ قامت سلالات الخيول العربية بين البدو الرحل في

الصحـراء. وكـل السـلالات ترجـع إلـى هـذا الأصـل مـا عـدا المعنقـي. فـالبدو المرتحلون على حدود العـراق زاوجـوا «الشـمال» (وهـي فـرس شـمالية ـ فـرس مجهولة عند بعض الشعوب العربية غـير البدويـة) وفحـلاً عبيانيـاً. وكـان المولـود مهرة وهي المعنق الأول (الطويل العنق). ويقال إن هذه المهرة تزاوجت مع فحـل الكحيـلان رأس الفيـداوي، ومـن هـذا التزاوج ولـدت المهـرة (شـويحان). ومـن المفترض أن سلالة المعنقي الحالي هي أحفـاد التزاوج الأخـير. إنهـا تُعَـدُّ أصيلـة ضمن سلالتها. ولا يسمح لفحولها بالتزاوج مع السلالات «الخمسة» المختارةبل فقط مع المعنقي أو السـلالات المتصلـة بهـا: الربـدان، السـمحان، أبـو عرقـوب، الجلفان، المخلّد، الكبيشان، السعدان، ومايسمى «بعائلاتها» (مثال ذلك الربـدان ـ مشاجد والسمحان ـ قميّة الخ) والنوع «الثابت» من المعنقي للسباق الذي نشـأ عن مزاوجة فرس «الشمال» مع فحول عبيان ـ فيداوي ـ شـويحان بقيـت أصيلـة على يد عائلة بدوية واحدة. إنها أنقى سلالة في الصحراء اليوم والفحل المعنقي ـ الهدرجي الشهير «قسمت» الذي وصل إلى الهند، والـذي لـم يهـزم فـي حلبـات السباق الآسيوية والأوروبية (١٨٩٠ ـ ١٩٠٠). هو آخر معنقي أصيـل يخـرج مـن الصحراء. وقد مات «قسمت» بعد مدة وصوله إلـى مزرعـة السـيد هنتنفتـون فـي لونغ آيلند في الولايات المتحدة.

من الواضح إذن أن تربية الخيول العربية تتطلب معرفة السلالات. ولكنها ـ باستثناء المعنقي ـ بسيطة جداً، ويمكـن تعليمهـا بمسـاعدة اليـد الواحـدة ـ علـى الأصابع «الخمسة». ولتربية الخيول الناجحة ـ بالطبع ـ من الضـروري ليـس فقـط معرفة الأنواع الثلاثة معرفة تامة بل أيضاً معرفة أكبر عـدد ممكـن مـن السـلالات. ولكل سلالة علاماتها المميزة ـ أحيانـاً علامـة واحـدة فقـط وأحيانـاً علامتـان أو ثلاثة. ولكن لكل من الكحيلان والصقلاوي والمعنقي علامات ممـيزة كثيرة فـي الرأس والمظهر الخارجي، مما يجعلها تمثل أنواعـاً متعاكسـة ويمكـن إضافـة أيـة سلالة أخرى إليها: (الحمداني ـ الهدبان ـ الشويحان إلى الكحيـلان) (الريشـان ـ الطويسان ـ الدهمان ـ والمعوج إلى الصقلاوي) والمعنقي إلى السلالات المتصلـة

به التي ذكرتها سابقاً. والملواح ينتمي إلى «العبيان» التي بدورها تشبه الصقلاوي أوهي تزاوج بين الصقلاوي والكحيلان.

فالجبهة العريضة البارزة بكاملها قصيرة نسبياً وذات تفاصيل لدنة هي من خصائص الكحيلان. وبالإضافة إلى ذلك هناك الجسم القوي العريض الممتلئ الذي لا يزيد ارتفاعه عن /١٤,٣/ قبضة. والكحيلان على الغالب رمادي ينقلب إلى أبيض عندما يتقدم في السن. وإذا وجدنا مثل هذا النوع أكثر ارتفاعاً (١٥,١) قبضة، وظهره أطول وجبهته مستقيمة ولكنها عريضة وجبهته ليست قصيرة كما قدّمنا، وشعره رمادي ولكنه منقط بنقط ضاربة إلى الحمرة فإن لدينا سلالةحمدانية (سمري) بدون شك. ولكن توخّ الحذر فلربما كانت جلفان (سطام البولاد). وفي حالة الشك انظر إلى رأسه وقوائمه. فإذا كانت قوائمه مرتفعة وخط بروفيل عظمة أنفه مستقيمة وطويلة إلى حدّ ما وربما «رومانية» قليلاً فلا بد أنه جلفان.

والآن لنلق نظرة على حصانين آخرين: كل منهما كستناوي ذو بريق ذهبي على شعره، وكل منهما رشيق ورائع في العمل والحركة. أقترب من البدوي وأطلب منه أن يسمح لي بركوب فرسه. وعندما يترجل آخذ أحد العنانين من يده وأمسك الفرس من الرسن قرب رأسها. أتأمل الرأس: الجمجمة قصيرة والخطم دقيق، وفتحتا الأنف رقيقتان والشفة السفلى صغيرة جداً، والعينان واسعتان، والجبهة عريضة ولكنها ليست بارزة، والانهدام تحت العينين مقعر عميق. والآن أضع قبضتي المطبقة بين عظمتي الفكين: إنها لفجوة واسعة. والآن إلى الجسم: ظهر قصير ولكنه يغطي الكثير من الأرض تحت الأقدام الأربعة وخط المعدة أطول من المتوقع، عجز قوي، وذيل مرتفع مباشرة من خط المستوي الراسخ الذي يمتد من خلف حارك الفرس إلى العجز، كتفان قويان مائلان كثيراً في توازن كامل مع الجزء الخلفي، ورقبة طويلة عالية. والقوائم؟ ربما كانت نحيلة ولكنها «مركزة» جداً مثل العاج. والمفاصل: الركبتان كبيرتان والعرقوبان كبيران، ولكنها نظيفة كالرسغ، نوابض خفيفة مرنة وقوية. عندها أصرخ:

«صقلاوية!» فيجيب البدوي «جدرانية» إنها صقلاوية من عائلة جدران. وأنطلق بها...

يمتاز الصقلاوي بالحركات الرشيقة جداً. إنه يحب اللعب، وهو حصان طبيعي رائع. كما أنه يمتاز بالسرعة أكثر من الكحيلان بقليل ـ وقوة الاحتمال أيضاً ـ ولكن ليس بقدر الكحيلان. وعند العودة أطلب من البدوي الآخر أن يسمح لي بتفحص فرسه التي هي تقريباً أخت للفرس التي ركبتها. وعندما أمسك برسنها ويتسنى لي الوقت لتفحص رأسها أرى على الفور أنها معنقي سبيلية (وليست معنقي هدرجية: الأمر الذي يجعلها فرس سباق حقيقية). قلت إنني عرفت على الفور أنها معنقي سبيلية وهذا صحيح، ولكنّها ليست في حالة حركة. فمن السهل رؤية عيوبها وتحديد سلالتها. في المقام الأول إنها تظهر النقاط البارزة الثلاث التي تعدّ معايب هذه السلالة والقائلة: العينان الصغيرتان والانهدام الضيق جداً بين عظمتي الفكين (لا مكان إلا لأصبعين فقط) والقوائم العالية. وبالإضافة إلى ذلك فإن كتفيها سيئان ومستقيمان تقريباً، وحاركيها منخفضان وعجزها مائل، وذيلها بين عرقوبيها، وأرسنتها طويلة جداً، وبالتالي ليست كافية القوة. وعندما أركبها فإن حركتها عصبية ووثابة. وإذا لم يكن خط المعدة كافي الطول فإن فشخات الحصان «تسحب» بخطوات قصيرة «حادة» بعكس عمل الصقلاوي اللعوب الرشيق المرن الطويل الحر.

والميزات البارزة للسلالات الأخرى هي: ظهر العبيان «المتأرجح» نوعاً ما، واللون الكستناوي وغياب أية علامات في المعنقي الهدرجي، اللون الكستناوي الذهبي وقوائم الصقلاوي المحجلة، اللون البني كعجل البحر والجسم القوي الطويل في الهدبان والشويمان على الرغم من أن ظهر الهدبان قصير ورأسه أقصر من رأس الشويمان وهو النوع القوي الذكوري الملائم للسباق، والخيول العربية الكستناوية الكبيرة ـ إذا كانت أكثر من /١٥,٣/ وأجسامها صالحة للسباق فهي معنقي، أما إذا كانت رمادية أو كستناوية ـ حمراء ومرتفعة القوائم فهي أبو عرقوب أو جفلان.

والأساطير العربية حول خلق الحصان العربي تذكرنا بالأساطير اليونانية الكلاسيكية التي تتحدث ـ بطريقة مماثلة ـ عن القدرة الخلاقة لريح الجنوب أو الغرب. ووفقاً للرواية العربية فإن إحدى أعظم النعم الإلهية للإنسان في الدنيا أو في الآخرة هي صحبة الحصان العربي. وقول المؤرخ ابن هشام الأسطوري ـ ولكنه رومانسي ـ هو أن والده محمد ذكر له الحديث: «إسماعيل بن إبراهيم هو أول مخلوق ركب الحصان وأول مخلوق يتكلم اللغة العربية (لغة الملائكة) ويرمي بالسهام من القوس. وإكراماً له أحضر الله مئة جواد أصيل من شاطئ البحر فرعاها إسماعيل قرب مكة». في القديم كانت مكة وخيبر مقدستين عند العرب الرحل كما كانتا «مركزي التجارة» الرئيسيين.

والنبي محمد صلى الله عليه وسلم لم يُرَبِّ في الأصل الخيول العربية، ولكنه حصل عليها بصورة مباشرة أو غير مباشرة من بدو الصحراء، وغالباً بطريقة غير مباشرة عبر مصر أو الخليج العربي، كما يشتري تجار الخيول الجمال في القصيم ووسط الجزيرة والخيول من البدو في شمال الجزيرة والعراق ويأخدونها إلى سورية ومصر. ومن هؤلاء التجار أنفسهم تصل بعض الخيول إلى البحر الأحمر واليمن أو الحجاز، ومن هناك إلى نجد. أو من العراق عبر الخليج العربي إلى الكويت والبحرين ومن هناك أيضاً ـ كما لاحظت شخصياً ـ إلى الأحساء والرياض في أواسط الجزيرة. والرمال الحمراء في صحراء النفود ـ ناهيك عن الصعوبات العشائرية والسياسية ـ تمنع (ويمكن أن تكون منعت في العصور القديمة) جلب خيول بدو شمال الجزيرة مباشرة إلى الحجاز، مما أوجب شحنها عبر مصر.

وأصبح النبي صلى الله عليه وسلم فاتحاً عظيماً بعد أن اجتمع لمساعدته ألف فارس من الصحراء. ثم هزم وخلفاؤه بفرسانهم المناطق التي لم يستطيعوا إخضاعها من قبل. وفيما بعد حمل هؤلاء الفرسان راية الرسول المظفرة عبر شمال إفريقية وإلى أعماق أوربا.

وهنا أسمح لنفسي ان أذكر بشكل مختصر عدداً من الملاحظات عن البدوي وحصانه. فحتى محمد علي وعباس باشا دفعا نحو ثلاثة آلاف جنيه في

الصحراء ثمناً لحيوان ممتاز، كما دفعت لجـان استبدال الخيـول /١٦٠٠/ جنيـه ثمناً لفرس واحدة. والأثمان التي يطلبها مربو الخيول في أوربا وأمريكا للحيوانات الجيدة ارتفع من ثلاثة آلاف إلى سبعة آلاف جنيه للفحل الأصيل من الدرجة الأولى.

والخيول العربية نادرة جداً اليوم للأسباب التالية: معظم الاصطبلات العربية في أوربا اختفت تماماً لضرورات الحرب، والأحوال السياسية في الجزيرة العربية خلال العشرين سنة الماضية، والحروب العشائرية بالأسلحة الحديثة والسيارات، وعدم مبالاة البدو تجاه تربية الخيول الأصيلة التي أصبحت «فناً ضائعاً» اليوم، والطلب على خيول السباق العربية في بولندا ومصر وسورية والعراق والهند، وخصوصاً الطلب على الأنواع الأكبر والأسرع، وبالتالي تربية المعنقي والسلالات المتصلة بها. وبما أن الحجم والبنية والمظهر الخارجي هي الأمور الهامة فحتى الإنسان العادي لن يختار حصاناً لجماله بل لبنيته وخصائصه التي توحي بالسرعة. «لا نستطيع أن نركب على رأس الحصان العربي الجميل!» عبارة تهكمية ولكنها صحيحة بالنسبة لخيول السباق العربية.

علينا أن نربي الحصان العربي الأصيل للحفاظ على الدم الثمين ونترك السرعة لخيول السباق ـ. علينا أن نعتمد على السلالة النادرة للحصان العربي لنحصل على بعض خيول الركوب والفروسية، وربما على السلالات الأخرى في الأقطار المختلفة مثل: المورغان والكنتكي في أمريكا، وخيول البولو في الأرجنتين، وخيول الفروسية في هنغاريا، وخيول «الدم الدافئ» في ألمانيا.

لم يعد البدوي العادي يربي السلالات الأصيلة أو فروعها على الرغم من أنه لن يستعمل الخيول إلا إذا كانت صحراوية. في الاحساء والحجاز أفسدت الخيول التي خلفها الأتراك في المدينة والطائف والهفوف السلالات في نجد (الرياض وحايل) والأماكن الأخرى في أواسط الجزيرة، ولكن هناك أملاً في أن يعين ابن سعود ملك الجزيرة العربية شخصاً عالماً بالسلالات الأصيلة لإقامة اصطبلات تربية الخيول قرب حايل وخيبر والرياض. خلال الشتاء والربيع يمكن

لأفراس هذه الاصطبلات أن ترعى في النفود المجاورة، وتترك مع مهارها تحت ظروف مشابه لظروف خيول البدو الرحل حيث تتوافر الأعشاب الطازجة وحليب الجمال لتغذية الفرس الحاضنة.

ويمكن ركوب الفرس حتى يوم ولادتها. ولايسمح لها بالتزاوج في بعض السنوات حين يتوقع أصحابها ـ مثلاً ــ أن يقوموا بالغزو أو حين تسلك القبائل طريق الحرب. تفصل الذكور الصغيرة عن أماتها وتقتل إذا كانت المراعي فقيرة والمواسم سيئة ولا يتوقع هطول الأمطار الكافية مما يؤدي إلى نقص في حليب الجمال اللازم لتغذية الخيول ومهارها. ويفضل البدو إنقاذ الفرس والمهرة دون المهر. والفحول لا تخصى أبداً. وتعار الأفراس للغازي الناجح إذا وعد باقتسام الغنائم مع مالكها. في المعسكرات تقيّد الفرس بزوج من القيود الصوفية وعندما يقترب العدو أو أثناء الليل تستبدل بقيود حديدية وأقفال. في معظم الأوقات تكون هذه الحيوانات المسكينة شبه جائعة وتبدو هزيلة، ومع ذلك فمن المدهش طريقة استجابتها لنداء صاحبها والجري في الغزوات. وعندما تربط الفرس بحزام شداد جمل السباق فإنها تعاني أقسى أشكال الحياة ومصاعبها الهائلة. ومع ذلك فإن الأفراس البدوية ذات المظهر السيئ في مخيمات البدو هي أفضل الخيول، بينما الأفراس الممتلئة الجيدة التغذية لا تستعمل أثناء الغزو. والمال (أي الذهب) لا يعني الكثير للبدوي العادي على الرغم من أنه يمكن أن يعني «كل شيء» لشيخه زعيم القبيلة. وبيع الفرس يعدُّ تخلياً «مشيناً» عنها. يمكن للبدوي أن يهدي الفرس. ولكن الأيام تتبدل إذ يمكن الآن أن تقايض أفضل الأفراس بالسيارات والأسلحة الحديثة.

على الرغم من أن البدوي يمكن أن يكون فقيراً، فإنه يحظى بالاحترام عندما تجلب له فرسه الفخار، لدرجة أن أصدقاءه يقفون إجلالاً لفرسه عندما يدخل مجلس الشيخ. وعندما يمرون بجانبها يضعون أيديهم على جبهتها ويدعونها المباركة.

والحصان في الصحراء لا يمر في مراحل الترويض، فمنذ اليوم الأول تداعب النساء والأطفال المهر الصغير ويلاطفه الجميع. وعندما يكبر يبدأ الأطفال بركوبه. وفيما بعد يركبه الشباب، وفي النهاية يشترك في الصيد والغزو والحرب.

وأعظم خصائص الخيول العربية هي قدرتها على الاحتمال. وهناك سجلات رسمية بذلك في أمريكا وإنكلترا وهنغاريا وبولندا وروسيا وألمانيا ومصر وتركيا وأماكن أخرى. فالخيول العربية أو الخيول ذات الدم العربي نالت الجوائز الأولى أو الجوائز الأخرى في سباقات الاحتمال.

والحصان العربي يعيش /٨ ـ ١٢/ سنة أكثر من الحصان الأوربي المتوسط. وكان لديَّ فحل أنجب في سنّ الثانية والثلاثين من عمره. وأعرف فرساً في الجمعية الزراعية المصرية أنجبت بانتظام حتى سنّ الخامسة والثلاثين. وعندما تربى الخيول العربية في أوربا أو أمريكا يزيد طولها بعد عدة أجيال مقدار /١ ـ٣/ بوصة، والسبب في ذلك هو العناية المنتظمة والطعام والشراب. ولكن الخيول العربية لاتسوء بسبب المناخ والماء والغذاء على الرغم من أن الأغذية الطرية تجعل العضلات«رخوة»، ولكن هذه الخيول تسوء بسبب اختلاط السلالات والأنواع. هناك حالياً حوالي /١,٥/ مليون حصان «عربي» أو أكثر (يجب أن تسمى «شرقية»)، ولكن بالإضافة إلى ما لا يزيد عن ثماني مئة حصان صحراوي من الدرجة الأولى في الجزيرة العربية هناك ما لا يزيد عن خمسين حصاناً مشهوراً في كل قارة أوربا، ونحو مئة حصان في إنكلترة، ومثلها في الولايات المتحدة، وربما ثلاث مئة حصان في بقية أنحاء العالم (العراق، مصر، الهند.. الخ). أي لنقل نحو ألف وخمس مئة حصان في العالم بأكمله. لقد تفحصت آلاف الخيول العربية في الصحراء ومثلها في العراق وآسيا الصغرى وسورية وشرق الأردن وفلسطين ومصر، وزرت الاصطبلات الشهيرة في أوربا وأمريكا. وأستطيع أن أقول بكل ثقة إنني لم أر أكثر من /١٦/ فرساً أحب امتلاكها وسبعة فحول مساوية لهذه الأفراس الممتازة. وعلى الرغم من أنني صدّرت خيولاً كثيرة من الصحراء (بالطبع كنت دائماً محدود الإمكانات المادية) فإن أفضل فرس (مهرة)

وضعت يدي على جبهتها وجدتها في مصر ـ حيوانات ذات نسب صحراوي من مزرعة علي باشا شريف ـ وأفضل فحل عربي في إنكلترا من السلالة الصحراوية في مجموعة الليدي آن بلنت. يمكن أن تكون الصحراء مهد الحصان العربي، ولكن القليل من البدو يحافظون على الدم الأصيل اليوم. وإذا باعوا مهرة من السلالات النقية فسيفعلون ذلك إذا كنت صديقهم الحميم لسنوات عديدة. ومن الأسهل والأرخص والأسلم والأقل مخاطرة أن تشتري من الاصطبلات العربية المشهورة في أوربا وأمريكا. وعلى الرغم من ذلك يجب بذل كل جهد ممكن ــ وربما للمرة الأخيرة قبل فوات الأوان ـ لتأمين /١٢ ـ ١٥/ من الحيوانات الممتازة من بدو نجد، وإقناع صاحب الجلالة ملك العربية السعودية لإقامة /٢ ــ٣/ اصطبلات في مملكته.

والبدوي يركب الفرس فقط وتحتفظ كل قبيلة بعدة فحول من السلالات المختلفة لأغراض التزاوج فقط. إنها لاتشارك في الغزو لأنها تصهل قرب الأفراس، وتفضح الغزاة لدى أعدائهم. ومعظم الفحول الصغيرة يشتريها تجار الخيول في أواسط الجزيرة العربية، ويبيعونها إلى سورية ومصر والعراق. يركب البدوي حصانه دون لجام ودون سوط ودون مهماز ودون غمامات، إنه طراز شمال إفريقية ولكنه ليس عربياً. وكقاعدة عامة أيضاً يركب البدوي الحصان دون سرج ودون عنان وبمجرد عذار وحبل وحيد.

وتربط خرزة زرقاء زجاجية في عرف أو ذنب الفرس أو شعر سنام الجمل لتجلب «الحظ السعيد». ويعدُّ الشعير والتمر وحليب الجمال الأغذية المقوية التي تتناولها الفرس عندما لايكون هناك ما يكفي من أعشاب المراعي. وتعدُّ كمية /١٥٠ ـ ٢٥٠/ كغ من الشعير كافية لتغذية الفرس خلال السنة. ولكن هناك حاجة ماسة للغذاء الإضافي في الربيع أثناء فصل الغزو. وتبلغ المسافة التي تقطعها الفرس ومهرها /١٨٠٠ ـ ٢٥٠٠/ ميل أثناء الارتحال التقليدي. أما الغزو فيعني مسافة إضافية قدرها /٣٠٠ ـ ١٠٠/ ميل. والخيول العربية هي أسرع خيول العالم في المشي بسبب مشيها بجانب الجمال أثناء حملات الغزو.

وللمناخ في الجزيرة العربية بالطبع علاقة بتوالد وتطور هذه الخيول البدوية. إنها تتجول دائماً في السهول وعبر النجد الذي يبلغ ارتفاعه /٦٠٠ ـ ١٠٠٠/ متر. وتهب الريح الجافة باستمرار عبر هذه البرية، معطرة بالأعشاب الصغيرة والأزهار التي كانت دائماً مصدر سروري. ليس هناك ركود كما في المناطق المستوطنة في الجزيرة. فالترحال هو الحياة، وحصان الصحراء ـ على الرغم من تعرضه للمصاعب والأخطار ـ يخرج منها نتاجاً أروع من الحصان المولود والناشئ في الواحات. إنه بالفعل اختبار البقاء للأصلح الذي حفظ الخصائص الممتازة في الحصان العربي عبر القرون. ويجب أن نتذكر أثناء تربية الخيول العربية موازنة العمل والغذاء تبعاً لذلك.

ذكرت سابقاً الخصائص العظيمة التي اكتشفت في جمجمة الحصان العربي الأصيل على أنه حصان قديم عاش نوعه النقي ليس لعدة قرون فقط بل لمدة ثلاثة آلاف سنة على الأقل. فالحصان العربي لاحصان شمال إفريقية لا يزال منبع سلالة الصحراء النقية. وأجداد الحصان البربري أتت من جزيرة العرب، ولكن بعد سقوط روما تزاوجت ذريته مع الحصان الإفريقي المحلي في إفريقية وأوربا الذي مرّ عبر إسبانية وإيطاليا وتركيا.

إن التناظر والتناسق والتوازن هو سر جمال وكمال الحصان العربي، ولا توجد إلا في النماذج الأصيلة النقية كما شرحت سابقاً. هذه الخصائص الثلاث في الكمال الجسماني لها أسباب بنيوية أساسية يسهل شرحها. فالنقطة الأولى والهامة التي يجب البحث عنها في الحصان العربي الحالي في كثير من الخيول المصرية والسورية «الجميلة» الحسنة التغذية، هي النَسَبُ الجيد. المفاصل يجب أن تكون نظيفة لا لنفاوية كما هي الحال في كثير من الخيول المصرية والسورية «الجميلة» الحسنة التغذية، وهي التي لا تستطيع احتمال حياة الصحراء القاسية. والفحل يجب ألا يمتاز بخصائص الفرس والعكس بالعكس. والخطوط الدائرية هامة أيضاً.

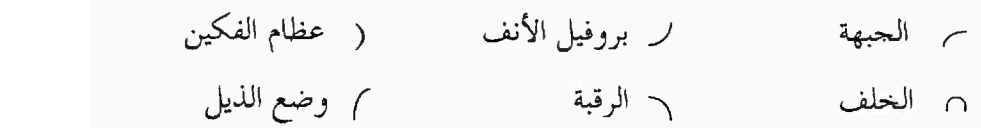

وما هو مهم جداً. الانحناء بين الرقبة والرأس عند اتصال الفكين.

والشكل المثلثي هنا \/ هو برهان قاطع على النسب «الشرقي» العادي، وبرهان قاطع على «الفجوة» الضيقة (أو «المدخل» للقصبة الهوائية) بين عظمي الفكين. دليل على الاحتمال والتنفس الضعيفين. وترابط الأضلاع والوركين يكون قريباً جداً تاركاً فراغاً (٢ ـ ٣) أصابع لا أكثر والخيول العربية العادية ليس ترابطها قريباً.

لاحظ وجود «فراغ» كاف بين المحزمة والقائمة الأمامية والحاركين الحسني التكوين، وهي ميزة غائبة دائماً في الحصان «الشرقي».

والحصان العالي القوائم هو حيوان له القليل من العمق في الصدر. وإذا ظهر الحصان العربي عالي القوائم أو هو كذلك بالفعل فلا تستعمله إطلاقاً للتزاوج.

والنقاط الأخرى التي تجب ملاحظتها هي: الخطان المتوازيان للجزء السفلي من القائمة الخلفية.

العرقوبان النظيفان المنخفضان كالركبتين برهان على قصر عظمة القسم السفلي من القائمة الأمامية وطول القائمة الأمامية وعمق الصدر.

الصدر العريض ـ حتى الصقلاوي الرشيق له صدر عميق وعريض.

الخيول العربية البنية يجب ألا يكون لها قوائم كستناوية، بل يجب أن تكون سوداء أو بنّيَّة. الرسغ يجب أن يكون طوله كافياً على ألا يكون مائلاً لأن هذا عيب مميز للحصان السوري.

الرقبة يجب أن تكون طويلة متناسبة.

الكتفان يجب ألا يكونا مستقيمين.

الخلف يجب أن يكون طويلاً ولكن الظهر يجب أن يكون قصيراً، وبمستوى الجزء الخلفي، والخط بين القوائم الأربع طويلاً إلى حد ما.

يجب ألا يكون هناك ظهر «كحد السكين» بل يجب أن يكون هناك انهدام، وعلى جانبيه عضلات. بالنسبة لحمل الذيل المنبت هام جداً. فالقفرة الناقصة يجب أن تؤمن حملاً رشيقاً وقوة أكبر بسبب الرفع.

الشكل «آ» يرينا الحصان المظلل الحصان العربي المثالي من وجهة النظر البيطرية ووجهة نظر تربية الخيول. والحصان في الشكل «ب» نموذج لكثير من الخيول العربية المزيفة (السورية، الخ). «فالمثالي» عال عند الحاركين والآخر عال في الخلف، ولذلك فإن الرقبة عالية لإعادة التوازن والقوائم الخلفية تحت الجسم لتوازن الزاوية الخاطئة لعظام الرضفة. وهناك خط الكتفين المستقيمين. و«للمثالي» حرية أكثر ومرونة أكثر وهي ما يفتقده النوع الآخر ــ وعلى سبيل المثال، الأرض المغطاة بين القوائم الأمامية والخلفية في النوع العالي القوائم هي بكل وضوح أقل.

الشكلان آ / ب: التكوين الصحيح والخاطئ للقوائم الخلفية والجزء الخلفي.

آ ـ التكوين الصحيح. لاحظ الخط الغادن الذي يجب أن يقع عليه الخلف والعرقوب والرسغ. والعرقوب النظيف وعدم وجود انتفاخ حول الثنة والبروفيلين الأمامي والخلفي لقصبة القائمة.

ب ـ في هذا التكوين الخاطئ خطّا قصبة القائمة ليسا متوازيين، والرسغ والعرقوب منتفخان، وخط الغادن عبر الخلف لا يتطابق مع القصبة والثّنة.

والتفاصيل التشريحية على مقياس أكبر يرينا الوضع الصحيح والوضع الخاطئ لعظام الجاعرة فوق العرقوبين. في الصورة (آ) يعملان مركزياً أحدهما فوق الآخر وفي الصورة (ب) تعمل العظمة العليا غير متمركزة على حافتها السفلى، وبالتالي تسبب إجهاداً، كما تسبب مع الزمن تضخماً في العرقوب وغوراً. تحت التضخم يرى في (ب)، بينما ليس هناك أي أثر للتضخم أو الغور في آ، حيث يمتد الفخذ بانحناءة خفيفة إلى العقروب والرسغ المنتفخين، قلّما يعودان لأسباب مرضية بل إلى الطبيعة التي تتلاءم بتكبير أوتار العضلات التوتر الناتج عن البنية التشريحية الخاطئة. مثل هذه العيوب التشريحية وراثية وبالتالي فهي تنقل الأعراض.

والفقرة الناقصة في العمود الفقري تجعل الحصان العربي ــ لهذا السبب أكثر قدرة على حمل الأثقال. والذيل يجب أن يمتد برشاقة وبانحناء مرتفع من العجز، ويجب ألا يبدو كمكنسة موضوعة تحت الجزء الخلفي كما يجب ألاّ يتدلى بين العرقوبين.

هناك نقاط أخرى يراها البيطريون ومربو ومحبو الخيول العربية هامة ويرغبون في الإشارة إليها. ولكن النقاط التي ذكرتها ـ وتفاصيل وخصائص رأس الحصان العربي ـ تكفي لتمكن أي فرد من تفحص أي حصان شرقي، ليقرر أصله وسلالته ونقاءه وخصائصه أو عيوبه ونقائصه.

* * *

أشكال الخيول العربية

الحصان الكحلاوي يمثل القوة، لاحظ عضلاته الكبيرة الضخمة

الحصان الصقلاوي يمثل الجمال

الحصان العربي يمثل السرعة

نماذج من الخيول العربية

شكل (آ) شكل (ب)

الحصان العربي المثالي الحصان العادي

حصان السباق العربي الحصان السوري

مؤلفات ومنشورات

المحامي أحمد غسان سبانو

١ ـ المائة الأوائل (ترجمة) بالاشتراك مع الأستاذ خالد أسعد عيسى.

٢ ـ مائة أوائل من تراثنا بالاشتراك مع الدكتور سهيل زكار.

٣ ـ تاريخ الشام ولبنان لمؤلف مجهول ـ تحقيق.

٤ ـ مذكرات تاريخية عن حملة إبراهيم باشا على سوريا ـ لمؤلف مجهول ـ تحقيق.

٥ ـ تاريخ الشام ـ ميخائيل بريك ـ تحقيق.

٦ ـ هرمس بين الألوهية والنبوة. اختيار نصوص وتحقيق.

٧ ـ لعنة الفراعنة. (ترجمة) بالاشتراك مع الأستاذ خالد أسعد عيسى.

٨ ـ الحسن البصري. اختيار نصوص وتحقيق.

٩ ـ الخيام السود. (ترجمة) بالاشتراك مع الأستاذ عبد الهادي عبله.

١٠ ـ الإفادة والاعتبار. رحلة عبد اللطيف البغدادي لمصر ـ تحقيق.

١١ ـ مياه دمشق ـ تحقيق مخطوطة ودراسة.

١٢ ـ دمشق مقالات مجموعة ـ اختيار نصوص.

١٣ ـ دمشق في المعاجم والموسوعات العربية والأجنبية ـ نصوص وترجمة.

المؤلفات الكاملة للعلامة أحمد وصفي زكريا

تصدر بإشراف وتحقيق أحمد غسان سبانو

١ ـ عشائر الشام (جزءان).

٢ ـ جولة أثرية.

٣ ـ الريف السوري (جزءان).

٤ ـ حيوانات وطيور بلاد الشام (نص محقق ينشر لأول مرة)

٥ ـ المسالك والممالك (نص محقق ينشر لأول مرة).

٦ ـ رحلتي إلى اليمن (نص محقق ينشر لأول مرة).